

# الحرب على إيران وإعادة تشكيل الشرق الأوسط: بين المشروع الإسرائيلي وصراع القوى الدولية

## ورقة تحليلية

بقلم: د. فؤاد ربايعة

رام الله - 2026/3/4

لفهم الحرب الدائرة اليوم بين إسرائيل وإيران لا يكفي النظر إليها باعتبارها مواجهة عسكرية محدودة، بل يجب قراءتها في سياق التحولات العميقة التي يشهدها النظام الإقليمي في الشرق الأوسط والصراع الدولي على إعادة تشكيله.

ما يجري اليوم بين الولايات المتحدة وإسرائيل من جهة، وإيران من جهة أخرى، يتجاوز كونه مجرد رد عسكري على حادثة أمنية أو حلقة جديدة من التوتر الإقليمي. فالمواجهة الحالية تعكس محاولة أوسع لإعادة رسم ميزان القوى في الشرق الأوسط، وربما إعادة صياغة ملامح النظام الإقليمي برمته. وبذلك تتحول هذه الحرب من مجرد مواجهة عسكرية إلى لحظة سياسية واستراتيجية تسعى فيها قوى كبرى إلى فرض رؤيتها لمستقبل المنطقة وترتيباتها الأمنية.

غير أن قراءة هذا الصراع بموضوعية تفرض التفريق بين مستويين من الخطر.

فبينما تمثل إيران لاعباً إقليمياً يسعى إلى توسيع نفوذه عبر شبكة من الحلفاء والأذرع العسكرية، يبقى المصدر المركزي والأكثر خطورة على المنطقة وعلى الشعب الفلسطيني تحديداً هو المشروع الإسرائيلي ذاته. إسرائيل ليست مجرد طرف في صراع نفوذ؛ إنها مشروع استيطاني توسعي قائم على القوة العسكرية والهيمنة الإقليمية.

منذ عقود، حاولت إسرائيل تقديم نفسها باعتبارها دولة صغيرة محاصرة بالأعداء، لكن واقع السياسات الإسرائيلية في المنطقة يكشف شيئاً مختلفاً تماماً: دولة تمتلك التفوق العسكري الساحق، وتعمل باستمرار

على تفكيك البيئة الإقليمية المحيطة بها لضمان تفوقها الدائم. الحرب الحالية ضد إيران لا يمكن فهمها إلا ضمن هذا السياق الأوسع.

### المشروع الإسرائيلي ومحاولة إخضاع المنطقة

القراءة الأعمق للحرب الحالية تكشف أن إسرائيل ترى في هذه اللحظة فرصة استراتيجية لإعادة تشكيل الشرق الأوسط وفق رؤيتها الخاصة للأمن الإقليمي. منذ سنوات، تدفع إسرائيل باتجاه خلق واقع جيوسياسي يجعلها القوة المهيمنة بلا منازع في المنطقة، مستفيدة من الدعم الأمريكي شبه المطلق.

في هذا السياق، لا يمكن تجاهل التصريحات الأخيرة التي صدرت عن السفير الأمريكي في إسرائيل، والتي أعادت التذكير بفكرة "إسرائيل الكبرى" بوصفها رؤية تاريخية لبعض التيارات السياسية في إسرائيل. مثل هذه التصريحات ليست مجرد زلة دبلوماسية، بل مؤشر على وجود تفكير استراتيجي داخل بعض دوائر القرار في واشنطن وتل أبيب يرى الشرق الأوسط باعتباره مساحة يجب إعادة تشكيلها بما يخدم الهيمنة الإسرائيلية.

إدارة دونالد ترامب لعبت دوراً محورياً في ترسيخ هذا الاتجاه. فالتقارب غير المسبوق بين ترامب ونتنياهو لم يكن مجرد تحالف سياسي عابر، بل بدا في كثير من الأحيان وكأنه مشروع مشترك لإعادة هندسة الشرق الأوسط. السياسات التي اتبعتها الإدارة الأمريكية - من الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل سابقاً، إلى محاولات إعادة ترتيب التحالفات الإقليمية - تشير إلى تصور أوسع يقوم على إخضاع المنطقة لواقع سياسي جديد تنصده إسرائيل.

في هذا السياق، تبدو الحرب الحالية جزءاً من مشروع أوسع يتجاوز مسألة البرنامج النووي الإيراني. فالهدف لا يقتصر على تحجيم إيران، بل يمتد إلى إعادة ترتيب التوازنات الإقليمية بما يعزز التفوق الإسرائيلي ويضمن استمرار الهيمنة الأمريكية في المنطقة.

إن الحديث عن طموح إسرائيل لقيادة المنطقة لم يعد مجرد تحليل نظري. فخلال السنوات الأخيرة ظهرت مؤشرات متزايدة على سعي تل أبيب للتحويل من دولة تركز على أمنها الداخلي إلى دولة تطمح للعب دور القوة المركزية في النظام الإقليمي. التحالفات الأمنية، واتفاقيات التطبيع، والتنسيق العسكري المتزايد مع بعض الدول الإقليمية كلها تعكس هذا الاتجاه. وإذا نجحت إسرائيل في تحجيم الدور الإيراني أو إضعافه

بشكل كبير، فإن ذلك قد يفتح الباب أمام مرحلة جديدة تحاول فيها تل أبيب تكريس موقعها كالقوة الأكثر نفوذاً سياسياً وأمنياً في الشرق الأوسط.

### إيران: نفوذ إقليمي وحدود الدعم للقضية الفلسطينية

في المقابل، لا يمكن تجاهل أن إيران هي الأخرى لاعب إقليمي يسعى إلى توسيع نفوذه عبر شبكة معقدة من الحلفاء والتنظيمات المسلحة. إيران تقدم نفسها بوصفها داعماً للقضية الفلسطينية، لكن الواقع يظهر أن سياساتها في المنطقة كثيراً ما كانت مرتبطة بحسابات النفوذ والصراع مع الولايات المتحدة أكثر مما كانت مرتبطة بتحقيق تقدم حقيقي للقضية الفلسطينية.

العديد من السياسات الإيرانية في المنطقة أدت عملياً إلى تعميق الانقسامات والصراعات الداخلية في دول مختلفة، وهو ما انعكس أحياناً بشكل سلبي على القضية الفلسطينية نفسها. فالقضية الفلسطينية تحتاج إلى وحدة عربية وإقليمية حولها، لا إلى تحويلها إلى ورقة في صراع المحاور.

ومع ذلك، فإن المقارنة بين إيران وإسرائيل يجب أن تبقى دقيقة. إيران قوة إقليمية ذات مشروع نفوذ، لكنها ليست مشروعاً استيطانياً قائماً على اقتلاع شعب من أرضه. أما إسرائيل فهي دولة احتلال قبل كل شيء، وما تمثله للفلسطينيين يظل الخطر الأكبر والأكثر مباشرة.

### الخليج بين الرد الإيراني والتحالف الأمريكي

أحد أخطر التطورات في هذه الحرب تمثل في انتقال الضربات إلى دول الخليج. استهداف إيران لمواقع في بعض دول الخليج، وخاصة في دول مثل الإمارات، لم يكن مجرد خطوة عسكرية عشوائية، بل رسالة استراتيجية واضحة.

السبب بسيط: هذه الدول تمثل جزءاً من المنظومة الأمنية الأمريكية في المنطقة. القواعد العسكرية، أنظمة الدفاع، والتحالفات الأمنية تجعل من بعض العواصم الخليجية امتداداً فعلياً للوجود العسكري الأمريكي. وبالتالي فإن استهدافها من قبل إيران يندرج في إطار توسيع ساحة الرد على الحرب التي تقودها واشنطن وتل أبيب.

غير أن هذه التطورات تكشف أيضاً هشاشة التوازنات الأمنية في المنطقة. كما أن البعد الاقتصادي للحرب لا يقل أهمية عن بعدها العسكري. فاستقرار الخليج يعني استقرار أسواق الطاقة العالمية، وأي تصعيد

عسكري واسع في هذه المنطقة قد يؤدي إلى اضطرابات كبيرة في إمدادات النفط وارتفاع حاد في الأسعار. لذلك فإن الصراع الدائر لا يهدد الأمن الإقليمي فقط، بل يحمل أيضاً تداعيات اقتصادية قد تمتد إلى الاقتصاد العالمي بأكمله. فدول الخليج التي اعتمدت لعقود على المظلة الأمنية الأمريكية تجد نفسها اليوم في قلب معركة قد تتحول إلى مواجهة إقليمية أوسع.

غير أن أخطر ما في مثل هذه الحروب لا يكمن فقط في الضربات المتبادلة أو اتساع رقعة المواجهة، بل في اللحظة التي قد يشعر فيها أحد الأطراف بأن وجوده نفسه بات مهدداً.

### السيناريو الأخطر: حين يشعر النظام الإيراني بالخطر الوجودي

هناك عامل آخر يجب أخذه بجدية في قراءة تطورات الحرب: ماذا سيحدث إذا شعرت القيادة الإيرانية بأن النظام نفسه مهدد بالسقوط؟

في مثل هذه الحالات، تدخل الدول أحياناً في ما يشبه منطق "الرد الأخير". في الأدبيات الاستراتيجية يشار أحياناً إلى هذا السلوك بما يشبه "رقصة الديك المذبوح"؛ أي استخدام كل ما تبقى من أدوات القوة بشكل غير متوقع حين يشعر النظام بأنه على وشك الانهيار.

في هذا السيناريو، قد تلجأ إيران إلى تصعيد غير تقليدي، سواء عبر توسيع نطاق الحرب إلى جبهات جديدة أو استخدام أدوات ضغط غير مسبوق. كما لا يمكن استبعاد لجوء بعض الأنظمة، عندما تشعر بتهديد وجودي، إلى خيارات قصوى قد تغير طبيعة الصراع بشكل جذري. هذا الاحتمال، وإن كان ليس السيناريو الأكثر ترجيحاً حتى الآن، يبقى أحد أخطر الاحتمالات التي يخشاها كثير من المحللين العسكريين.

### روسيا والنظام الدولي: دعم سياسي دون حرب

الموقف الروسي من الحرب يعكس تعقيدات النظام الدولي الحالي. موسكو أدانت الهجمات ضد إيران واعتبرتها تصعيداً خطيراً، لكنها في الوقت نفسه لم تندفع نحو تدخل عسكري مباشر.

السبب لا يعود إلى ضعف الدعم الروسي لإيران، بل إلى حسابات استراتيجية أوسع. روسيا تدرك أن الدخول في مواجهة عسكرية مباشرة مع الولايات المتحدة في هذا التوقيت قد يؤدي إلى تصعيد دولي غير قابل للسيطرة، وربما يفتح الباب أمام صدام مباشر بين القوى النووية الكبرى. كما أن موسكو تدرك أن انخراطها العسكري المباشر في هذه الحرب قد يستنزف مواردها ويجرها إلى صراع إقليمي واسع في وقت

تحاول فيه الحفاظ على توازن دقيق في علاقاتها الدولية ومصالحها الاستراتيجية في أكثر من ساحة. لذلك اختارت روسيا دعم إيران سياسياً ودبلوماسياً دون الانخراط في الحرب نفسها. هذا الموقف يعكس طبيعة النظام الدولي اليوم: عالم متعدد الأقطاب جزئياً، لكنه لا يزال يتجنب الصدام المباشر بين القوى الكبرى.

### فلسطين بين العاصفة الإقليمية وإعادة تشكيل المنطقة

في خضم هذه الحرب، تبقى القضية الفلسطينية حاضرة بشكل غير مباشر. فلسطين ليست سبب هذا الصراع، لكن ما يجري في المنطقة قد يترك أثراً عميقة على مستقبلها. حين تتشغل القوى الكبرى بصراع إقليمي واسع، غالباً ما تتراجع القضايا الأخرى في سلم الأولويات الدولية. وهذا قد يمنح إسرائيل مساحة أوسع للتحرك على الأرض دون ضغط دولي كبير، سواء من خلال تسريع مشاريع الاستيطان أو فرض وقائع سياسية وأمنية جديدة في الضفة الغربية والقدس. كما أن الحروب الإقليمية الكبرى كثيراً ما تخلق بيئة سياسية تسمح للقوى المهيمنة بإعادة ترتيب أولويات المنطقة وفق مصالحها، وهو ما قد يؤدي إلى تراجع الاهتمام الدولي بالقضية الفلسطينية في لحظة تحتاج فيها إلى حضور سياسي ودبلوماسي أكبر على الساحة الدولية.

### الخاتمة

ما يجري اليوم ليس مجرد حرب جديدة في الشرق الأوسط، بل لحظة مفصلية في إعادة ترتيب ميزان القوى الإقليمي والدولي. وبينما تتصارع القوى الكبرى والإقليمية على النفوذ والهيمنة، يبقى الشعب الفلسطيني في قلب منطقة يعاد تشكيلها بالقوة.

غير أن الخطر الأكبر لا يكمن فقط في نتائج هذه الحرب، بل في احتمال أن تتحول القضية الفلسطينية مرة أخرى إلى مجرد شعار داخل صراعات إقليمية أكبر. فلسطين ليست ورقة في صراع المحاور، بل قضية شعب يسعى إلى الحرية والاستقلال. وإذا كان لهذه الحرب من درس واضح، فهو أن الشرق الأوسط ما زال ساحة مفتوحة لصراعات القوة، وأن الشعوب وفي مقدمتها الشعب الفلسطيني كثيراً ما تدفع ثمن هذه الصراعات.